

المحاضرة السادسة

الدواوين في عهد الامويين :-

لما الت الخلافة الى الامويين ساروا على نفس النهج الذي أختطه الرسول محمد (ص) وسار عليه الخلفاء الراشدين في ادارة امور الدولة والرعية ،الا ان نظام الدواوين تعقد في العصر الاموي فبالاضافة الى ديوان العطاء الذي كان يحدد اعطيات الجند وديوان الجند الذي اقيم في عهد الخليفة عمر بن الخطاب ،فضلا عن ديوان (الخراج او الضرائب او الجباية) الذي كان قائما في الاصل بالامصار التي تم فيها عمليات الفتح الاسلامي ،وظل كل اقليم يكتب بلغته حتى عربت الدواوين في خلافة عبد الملك بن مروان وابنه الوليد . هذا واستحدثت دواوين أخرى في العهد الاموي فكانت اشهر الدواوين التي عرفت في زمن الامويين هي :- (ديوان الجند - ديوان الخراج - ديوان الرسائل - ديوان الخاتم - ديوان الطراز - ديوان الصدقات - ديوان البريد)

1-ديوان الجند :-

بقي هذا الديوان أول العهد الاموي على ما أنشأه الخليفة عمر، وهو أكبر ديوان في الدولة تحدد فيه مقدار اعطيات جميع العرب والجنود المقاتلة من العرب والغير العرب ،ولما خفت حركة الجيوش وهذأت الحروب الخارجية ،ابطل الخليفة الاموي هشام بن عبد الملك الاعطاءات لمن لا يقوم او يشارك بالعمل العسكري بنفسه او من يبعث مكانه نائبا عنه ، فضلا عن قيامه بالغاء اسماء جميع من يستنكفون في الجندية ولو كان أمير أموي .

وبهذا الاصلاح تحدد الاشخاص الذين يتناولون أعطيات مقدرة ومقررة من ديوان الجند ، ولم يعد أموال هذا الديوان حقا لجميع العرب ، وقد استمر هذا العمل حتى مجيء الدولة العباسية لذلك نجد ان المنصور العباسي قد اعجب باصلاح الخليفة هشام وامر العمل به وتنفيذه .

2-ديوان الخراج :-

وواجباته هو جمع الخراج او ماتعرف بالضريبة والانفاق من موارده على شؤون الدولة ، وكان في كل ولاية ديوان أشبه بالأدارة المالية المحلية، يجمع الخراج ويحتفظ بما يحتاج إليه الولاة من مصاريف الدولة ومن ثم يرسل الفائض الى

العاصمة حيث تجمع دخل الاراضي الزراعية في ديوان مركزي لقاء ايصالات استلام وصرف وتجري عن طريق محاسبة دواوين الولايات .

3-ديوان الرسائل :-

يقول القلقشندي في كتابة صبح الاعشى : ان ديوان الرسائل ويسمى ايضا ديوان الانشاء وهو اول ديوان انشئ في الاسلام وذلك أن النبي (ص) أستلم كتابا يكتبون عنه الى أمرائه وأصحاب سراياه ،والى من قرب من ملوك الارض يدعوهم الى الاسلام كما كتبوا له العهود والاقطاعات والهدن والامانات الى غير ذلك ،فهؤلاء الكتاب وان لم يطلق عليهم اسم الديوان كانوا يقومون بشيء من متعلقات ديوان الرسائل ، فلما جاء العهد الاموي كان كل خليفة يفوض امر ديوان الرسائل الى كاتب يختاره يصدر الرسائل الى الامراء والعمال في مختلف الامارات وكان يكتب بالعربية .

وعندما جاء العصر العباسي ،فكان الذي تولى ديوان الرسائل هو الوزير (وقد ذكر لنا المؤرخ الجهشيارى في كتاب الوزراء صور للرسائل التي كتبت توجه للعمال والرعية) فضلا عن القلقشندي فقد الف كتابا (لمن يرشحون أنفسهم لمنصب ديوان الرسائل ذكر فيه تاريخ هذا الديوان وتفاصيل العلوم والمعارف التي ينبغي لصاحبه ان يعلمها . قال (ليس في منزلة خدم السلطان والمنصرفين من مهماته أخص من كاتب الرسائل ،فإنه أول داخل على الملك وآخر خارج عنه ولا غنى له عن مفاوضاته في آرائه ، والا فضاء إليه بمهماته واطلاعه على حوادث ديوانه ، فهو لذلك لا يثق بأحد من خاصته ثقته به ...) هذا وذكر لنا القلقشندي تفصيلات كثيرة عن آداب صاحب ديوان الرسائل واختصاصاته في كتابه صبح الاعشى .

4- ديوان الخاتم :-

لم يكن يقصد بالختم هو ان يضع الخاتم في ادنى الرسالة ،وأنما كانت تطوى الرسالة ويلصق طرفها بالشمع او الطين الاحمر الذي يطبع عليه وهو طري ، خاتم الخلافة ويترك حتى يجف ،فإذا فتحت الرسالة من قبل ان تصل الى مرجعها عرف ذلك .

وكان اول من وضع هذا الديوان هوالخليفة الاموي معاوية وعد اكبر دواوين الدولة اذ يشتغل فيه نواب مهمتهم نسخ أوامر الخليفة وايداعها هذا الديوان كما هو الحال في الارشيف او السجلات . وقد ذكر لنا المؤرخ الصولي في ادب الكاتب ... ان معاوية حين أفرد ديوان الخاتم ولاه عبيد بن أوس النسائي وسلم الخاتم إليه وكان

منقوشاً على فسه (لكل عمل ثواب) وبسبب ذلك أنه كتب لعمر بن الزبير بمائة ألف درهم الى زياد عامله في العراق ،ففض عمرو الكتاب وجعلها مئتي ألف درهم ،فلما رفع زياد حسابه ،قال معاوية ما كتبت له الا بمئة ألف درهم ، وكتب الى زياد بذلك ، وامره بان يعتقله بتهمة التزوير ،فدفع عبد الله بن الزبير المبلغ لمعاوية وحصل على اطلاق سراح عمرو ،وصارت العادة ان يحتفظ ديوان الخاتم بنسخة عن كل ما يوقع من رسائل وحسابات ، وكذلك فعل الولاة ، وذلك للرجوع اليها والمطابقة والمقارنة ، ونجد ان هذا العمل استمر به في العصر العباسي حين نكب عدد كبير من الوزراء بدعوة الرشوة والتلاعب بالقيود والغنى الغير المشروع .

وأنشا الامويين في دمشق دارا خاصة للمحفوظات الرسمية ، كذلك فعل العباسيون ،وقد ضل هذا الديوان قائما حتى عهد الامين (809-816م) على حد الجهشيارى ،بينما يرى كل من المؤلفين المستشرقين (فون كريمر ، وسيد امير علي ومتر)انه حل ديوان التوقيع محل ديوان الخاتم في عهد الرشيد (776-809م) وعرفت الاوامر الصادرة عن هذا الديوان باسم التوقيعات ..ولكن المصادر التاريخية الاخرى تذكر ديوان الخاتم في عهد المأمون . مما قد يستنتج ان ديوان الخاتم بقي قائما مع أحداث ديوان التوقيع لمدة من الزمن ثم حل الثاني محل الاول .

5- ديوان الطراز :-

يقول ابن خلدون: "الطراز هو أن يرسم اسماء الملوك والسلاطين أو علاقات تختص بهم من طراز أثوابهم المعدة للباسهم من الحرير او الديباج "

6- ديوان البريد ويتولاه صاحب البريد واول من اتخذ البريد في الاسلام كادارة منظمة هو معاوية بن ابي سفيان وذلك عندما اتسع نطاق الدولة واصبح من الضروري نقل الرسائل في سرعة بالغة للاتصال السريع بين الخليفة وبين ولاته في الامصار

7- يذكر المورخون انه كان في عهد عمر بن عبد العزيز ديوان يعنى بالمرضى والمقعدين وترتيب الخدمة لهم والانفاق عليهم

8- ديوان الصدقات انشا في عهد هشام بن عبد الملك ،

9- كما كان هناك ديوان للنفقات و الرقيق وغيرها في العهد الاموي

تعريب الدواوين :-

كانت لغة الدواوين حتى زمن عبد الملك في العراق الفارسية وفي الشام الرومية وفي مصر القبطية واليونانية ، كان سرجون بن منصور يتقلد ديوان الشام فأمره عبد الملك يوماً بشيء فتثاقل عنه وتوانى فيه ، فعاد لطلبه وحثه فيه ، فرأى منه تفريطاً وتقصيراً ، فقال عبد الملك لسليمان بن سعد وكان يتقلد له ديوان الرسائل ، (أما ترى إدلال سرجون علينا ، واحسبه قد رأى ضرورتنا إليه وإلى صناعته ، أفما عند حيلة ؟ قال: لو شئت لحولت الحساب إلى العربية فقال : فافعل فحولته ، فرد إليه عبد الملك جميع دواوين الشام .

كما حول الحجاج في العراق ديوان الخراج من الفارسية إلى العربية ، وذلك أنه كان يتقلده زادان فروخ وكان يكتب معه صالح بن عبد الرحمن : وقال صالح مرة لزادان :- أني قد خففت على قلب الحجاج ولست آمن أن أزيلك عن عمالك . فاجاب زادان : لا تظن ذلك لأنه لا يمكن أن يجد من يكفيه حسابه غيري فقال صالح : والله لو شئت أن أحول الحساب إلى العربية لحولته . قال فحول شطرا حتى أرى . ، ففعل صالح : وبذل له زادان مائة ألف درهم كي يظهر العجز عن نقل الديوان إلى العربية فأبى . ولما قتل زادان خلال ثورة ابن الأشعث خلفه صالح وترجم الديوان إلى العربية .

وفي رواية للجهشياري والبلاذري (ان زادان خشى أن يلحظ الحجاج مهارة صالح فأمره ان يدعي المرض، فارسل الحجاج طبيبه الخاص لمعالجته ثم عينه بعد مقتل زادان ، وتقول هذه الرواية أن الذي عرض على صالح المائة ألف درهم ، هم اصحاب صالح من الفرس بعد تعيينه في عمله الجديد وبعد وفاة زادان .

أما في مصر فقد ظلت الدواوين تدون باليونانية إلى أن انتقلت الخلافة إلى الوليد بن عبد الملك فسار على سياسة أبيه في تعريب الدواوين فحول ديوان خراجها إلى العربية ، وقام بتنفيذ هذه السياسة ، وإليه على مصر عبد الله بن عبد الملك بن مروان سنة 87هـ.

كان لتعريب الدواوين أثر مزدوج من الناحيتين السياسية والأدبية ، فقد أصبحت لغة الدواوين هي اللغة العربية مما ساعد على تقلص النفوذ غير العرب ، ومن الناحية الأدبية فقد أصبحت لبيغة العربية لغة التدوين . فنقل إليها كثيراً من الاصطلاحات الفارسية والرومية واليونانية ، وابتدأت تظهر طبقة الكتاب منذ ذلك الوقت . فتعددت اختصاصات كتاب الدواوين في العصر الأموي فإلى جانب المستشارين الذي تم الإشارة لهم في نظام الوزارة — كان هناك طائفة من كتاب الدواوين ومن المعروف أن نظام الدواوين تعقد في العصر الأموي وظهر العديد من

الدواوين ، وكان عبد الحميد الكاتب يقول (لله در صالح بن عبد الرحمن ما أعظم منته على الكتاب) وكان حري به أن يقول لله دد عبد الملك .

الدواوين في العهد العباسي :-

تأثر العباسيون بالنظم الادارية الفارسية كما أن الامور تعقدت وتشعبت بعد العصر الاموي فأنشئت دواوين عديدة عدا التي عرفت زمن الراشدين والامويين وكان اهمها :

1- ديوان العزيز :

كان مجلس الخليفة يسمى بديوان العزيز (كما كانت في التاريخ الحديث الحكومة العثمانية تسمى الباب العالي) ، وكان يرأس المجلس الوزير الاكبر ولهذا سمي مجلس العزيز وكان رؤساء الدواوين المختلفة يسمون بالوزراء أحياناً ولكنهم كانوا اقل من الوزير الاكبر الذي كان رئيس الادارة .

2- ديوان الازمة :

يقول البلاذري بان هذا الديوان أحدث في زمن الامويين بينما يذكر لنا سيد امير علي : انه من ابتكار الخليفة المهدي (158-168هـ) وقد سمي ديوان الازمة في العاصمة وديوان الزمام في الامصار كما يقول الجهشيارى ، وصاحبه يشبه وزير المالية الذي يجمع أنواع الواردات كلها، وأنواع النفقات كلها ، ويقوم الموازنة بينهما ، وقد حوله العباسيون الى ديوان حسابات عامة لبلاد الخلافة كلها . وهو يشبه الجهاز المركزي للرقابة المالية او ديوان المحاسبة اليوم

3- ديوان النظر في المظالم :

كان الرسول (ص) والخلفاء الراشدون من بعده يستمعون الى شكاوي الناس وينصفونهم في كل وقت تعرض عليهم هذه الشكاوي ، ولكن بعد مقتل الامام علي (ع) والاعتداء على معاوية احتجب الخلفاء ، وخصصوا اوقاتا محدودة للنظر في المظالم كما فعل عبد الملك وعمر بن عبد العزيز ، فلما جاء العباسيون وانشغل الخلفاء بامور الدولة المتشابكة ، افردوا للمظالم ديوانا منظما كان بمثابة المحكمة

العليا الاستئنافية ، تعرض عليها الامور التي لم يقبل اصحابها بحكم القضاة ، وذكر ان جعفر البرمكي قد تولى رئاسة هذا الديوان في عهد الرشيد وان المأمون قد انفرد من بين سائر خلفاء بني العباس ، وكان يترأس مجلس ديوان المظالم كل يوم احد ، ويذكر الماوردي ان (أمرأة تقدمت بشكوى من ابن الخليفة المأمون ، فحضر المأمون بنفسه وجلس بالنظر بالدعوى ، واستمع الى اقوال المرأة وابنه ، وأصدر القاضي الحكم ضد الامير ونفذ الحكم) .

4- ديوان النفقات :

اختص بمطالب البلاط من تامين الرواتب وبناء واصلاح القصور وملحقاتها ، وشراء المواد الغذائية والخيول ، وما يطلبه سكان القصور من ملابس وادوات وأثاث ، وتكاليف الحفلات والمآدب وما شابه ذلك

5- ديوان الصوافي :

تعني الصوافي أراضي الدولة ، هذا يعني أيضا اهتمام هذا الديوان بجمع املاك الدولة من تاجير واستئجار او شراء وبيع وهو أشبه بدائرة الاملاك العامة اليوم .

6- ديوان الضياع

ويقصد بها ضياع وقرى وأراضي الخليفة الخاصة ، اذ انفرد لادارتها واستثمارها ديوان خاص ، لا علاقة له بالديوان السابق

7- ديوان الموالي والغلمان : تسجل فيه اسماء موالى الخليفة وعبيده

8 - ديوان الجهبذه : وهو خاص للمحافظة على مصالح غير المسلمين يضاف الى هذه الدواوين دواوين اخرى كثيرة منها (ديوان البريد - الشرطة - العطاء - الدية - وديوان الري .

وكان يعهد بادارة كل ديوان الى مدير يسمى الرئيس او الصدر . أما التفتيش فكان يقوم به مفتشون يسمون بالمشرفين او النظار ، وكان مشرف الممتلكات يضطلع من حين لآخر بالتفتيش على دواوين الدولة ويرفع التقارير الوافية عنها الى الخليفة .